

العنوان:	بيوت العلماء في بلاد الشام في القرن 7-8 هـ.: ماهيتها، نشاطها
المصدر:	المجلة العربية للعلوم الاجتماعية
الناشر:	المؤسسة العربية للاستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية
المؤلف الرئيسي:	وسيلة، فراج
المجلد/العدد:	ع19، ج3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	يناير
الصفحات:	34 - 18
رقم MD:	1150977
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	التاريخ الإسلامي، العلماء المسلمون، بلاد الشام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1150977

بيوت العلماء في بلاد الشام في القرن ٧ - ٨ هـ

ماهيتها نشاطها

د. وسيلة فراج

المدرسة العليا للأساتذة

بوزريعة - الجزائر

بيوت العلماء في بلاد الشام في القرن ٧-٨ هـ ماهيتها ونشاطها

١. وسيلة فراج (*)

١. مقدمة :

تعد المنازل من المراكز الهامة لطلب العلم في مختلف العصور الإسلامية حيث تلقى معظم الطلاب علومهم على العلماء في منازلهم، واتخذت الكثير من النساء أيضا بيوت العلماء مركزا لطلب العلم فكانت تحضر بيوتًا خاصة بالنساء اللاتي اتخذن بيوتهن لتعليم النساء أو تحضر للرجال الذين اتخذوا بيوتهم مجالس للعلماء والطلاب، وكانت النساء تسمعن من وراء حجاب في بيوت العلماء ويتم سماع النساء من الرجل في بيته من وراء ستار أو في الغرفة المجاورة وسنتطرق في هذا المقال إلى أشهر البيوت العلمية ببلاد الشام في القرن ٧ - ٨ هـ ماهيتها ونشاطها ، فمن هم أصحاب هذه البيوت العلمية التي اشتهرت في الشام ؟ كيف تلقى الطلاب العلم على هؤلاء العلماء ؟ وما هي أهم التخصصات التي نالت اهتماما واسعا ؟ .

٢. بيوت العلماء في الشام :

عرفت الشام برون ٢١ بيتا علميا في فترة القرن السابع والثامن هجري يستقبل عدد كبير من الطالبات والطلاب هي :

- بيت الفخر بن البخاري مسند الدنيا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالح الحنبلي (توفي سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١م) . تفرّد في الدنيا بالرواية العالية وصار محدّث الإسلام وراويته. روى الحديث فوق ستين سنة، كان يسمع الحديث في بيته وممن أخذت عنه حفيده ستّ العرب بنت محمد بن

(*) المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة - الجزائر .

الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري الشَّيْخَة الصَّالِحَة
الحنبلية المسندة المكثرة (توفيت سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٥٦ م) وسمع منه عمر
بن الحاجب سنة ٦٢٠ هـ .

• بيت محمد بن سالم الصصري وهو بن الحسن بن هبة الله بن الشيخ أبي البركات
محفوظ بن صصري الدمشقي (توفي سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) سمع عليه بالبيت كل
من ابنته أسماء بنت صصري الدمشقية (توفيت سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) وزوجته
ست بنت أبي الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علان القيسية الدمشقية
(توفيت سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) وهدية بنت معين الدين إبراهيم بن عمر القرشي
الدمشقي (توفيت سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) .

• بيت أسعد بن المنجا بن أبي البركات وحيه الدين أبو المعالي التتوخي
الفقيه الحنبلي بدمشق (توفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) بيت من أشهر
بيوتات الحديث بدمشق سمعت عليه حفيدته ست الوزراء بنت عمر بن
منجا الدمشقية (توفيت سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) كما سمعت أيضا على
أبيها عمر بن أسعد بن منجا التتوخي الدمشقي (توفي
سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) روى عنه الضياء وزكي الدين المنذري .

• بيت سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الأنصاري الدمشقي (توفي
سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) سمعت عنه ابنته واعتنى بها منذ صغرها على
حب العلم وأحضرها مجالس التحديث في دمشق وهي فاطمة بنت
سليمان الأنصارية الدمشقية (توفيت سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .

• بيت ابن الخباز الدمشقي وهو إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ركاب
المعروف بابن الخباز (توفي سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) وخرَّج لنفسه
«مشيخة» في مائة جزء عن أكثر من ألفي شيخ فإنه كتب العالي
والتازل، سمع عليه محمد بن محمود بن إسحاق أبو موسى المقدسي
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، تخرج من بيته نساء عدة في نشر الحديث
خاصة المحدثات الشهيرة بدمشق زينب بنت الخباز (توفيت سنة ٧٤٩

١٣٤٨هـ/م) وعمتها نفيسة بن إبراهيم بن سالم بن الخباز (توفيت سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م) .

• بيت يوسف المزي وهو أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف الكلبي القطاعي (توفي سنة ٧٤٢ هـ / ١٤٤١ م) برع في فنون الحديث، وحذث بالكثير نحو خمسين سنة فسمع منه كبار الحفاظ، عُني بأهله وأحضرهم مجالس الحديث أخذت عنه زوجته عائشة بنت إبراهيم بن صديق السلمي الدمشقية (توفيت سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) قارئة القرآن وابنته زينب زوجة ابن كثير توفيت في القرن ٨هـ / ١٤م سمع عليه الذهبي البرزالي تاج الدين السبكي .

• بيت الذهبي شيخ الحفاظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي أخذت عنه زوجته فاطمة بنت محمد بن نصر الله بن القمر الدمشقية (توفيت سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) وأخذ عنه الصفدي وتاج الدين السبكي ونقي الدين بن رافع السلمي وغيره توفي ٧٧٤هـ .

• بيت الحافظ العلائي هو الخليل بن كيكلي أبو سعيد الدمشقي (توفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م) أخذت عنه ابنته أسماء بنت الخليل العلائي (توفيت سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م) أحضرها والدها على عدد من المحدثين وأختها أمة الرحيم ويقال لها أمة العزيز بنت خليل بن كيكلي (توفيت سنة ٧٩٥هـ / ١٣٣٩م) سمعت مع أختها وحدثت أخذ عنه عمر بن علي ابن الملقن توفي ٨٠٤هـ وإسماعيل بن كثير توفي سنة ٨٠٤هـ ومحمد بن يعقوب الفيروزيادي .

• بيت زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية المعروفة ببنت الكمال (توفيت سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) تزاحم عليها الطلبة وقرأوا عليها الكتب الكبار والأجزاء الصغار وذلك في بيتها بجبل قاسيون بدمشق تارة وتارة في جامع دمشق وهو جامع بني أمية وتزاحموا عليها نظرا لسماحتها وطيب أخلاقها ولطفها في التلقين أخذت عنها شاهدة بنت عبد العزيز بن جماعة (توفيت سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧م) وتتر بنت

محمد التتوخي (توفيت سنة ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م) وسارة بنت علي السبكي
(توفيت سنة ٨٠٥ هـ/١٤٠٢م) .

• بيت عائشة بنت السيف أبي بكر بن عيسى الدمشقية (توفيت سنة ٧٩٣ هـ/١٣٩١م) سمعت عليها باي خاتون بنت علي بن محمد السبكي الدمشقية سنة (٧٧٥ هـ/١٣٧٣م) وبركة بنت أبي بكر بن أحمد الصالحية الدمشقية (توفيت سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٦م) سمعت عليها هي وزوجها كتاب حلم معاوية لابن أبي الدنيا سنة (٧٨٢ هـ/١٣٨٠م) .

• بيت المحدث كريمة بنت عبد الوهاب بن علي أم الفضل (توفيت سنة ٦٤١ هـ/١٢٤٣م) ومنزلها بالميطور بدمشق مسند الشام وهي من أسرة علمية وفي بيتها كانت مجالس العلم فوالدها الحبيب من مشاهير المهتمين بالحديث (توفي سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٤م) وكذلك أخوها علي بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ٦١٨ هـ/١٢٢١م) وأختها صفية بنت عبد الوهاب (توفيت سنة ٦٤٦ هـ/١٢٤٨م) وعمها عمر بن علي بن خضر (توفي سنة ٥٧٥ هـ/١١٧٩م) وقد تتلمذت على يدها أختها صفية وخديجة بنت يوسف بن غنيمة (توفيت سنة ٦٩٩ هـ/١٢٩٩م)

• بيت إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد، القاضي شرف الدين أبو الفضل ابن المؤصلي الشيباني الدمشقي الفقيه الحنفي، (توفي سنة ٦٢٩ هـ/١٢٣١م) أقام في بيته، وأقبل على التحديث والفتوى والإفادة، وأجاز لناس العرب بنت علان (توفيت سنة ٧٠٧ هـ/١٣٠٧م) .

• بيت بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم الدمشقي الخشوعي الأنماطي (توفي سنة ٥٩٨ هـ/١٢٠٢م) هو من بيت كبير مشهور بالحديث سمع من جماعة منهم أبي محمد القاسم بن علي الحريري سنة (٥١٢ هـ/١١١٨) وحدث عنه أولاده منهم أبو محمد عبد الواحد بن بركات (توفي سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م) وأبو الحسن علي بن بركات (توفي سنة ٦٣٠ هـ/١٢٣٣م) وستهم بنت بركات (توفيت سنة ٦٤٠ هـ/١٢٤٢م) .

- بيت محمد بن أبي الغنائم سالم ابن الحافظ أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن صصرى، عماد الدين أبو عبد الله الربيعي، النعلبي، الدمشقي، الشافعي. (توفي سنة ٦٧٠ هـ/١٢٧١ م) ، وكان مُحِبًّا للحديث ذا عناية به. رحل إلى مصر، وسمع من جماعة وكتب بخطه وحصل. وقد روى الحديث من بيته جماعة كثيرة منهم إبنته أسماء بنت محمد (توفيت سنة ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) .
- بيت عبد الرحمن بن أبي الفهم عبد المنعم بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن محمد اليلداني الدمشقي (توفي سنة ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧ م) اعتنى بالحديث كان يلقب بالمسند الرجال توافد عليه طلبة الحديث ببيته منهم زينب بنت يحيى بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمية (توفيت سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م) وزينب بنت الرضى (توفيت سنة ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م) .
- بيت مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور، الشيخ الإمام، قاضي القضاة، شمس الدين أبو بكر ابن الشيخ العماد المقدسي، الصالحى، الحنبلي (توفي سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م) لزم بيته يدرس ويُقَي ويُشغل، ويروي الحديث وقد سمع منه ولديه أحمد وزينب .
- بيت إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائي الدمشقي (توفي سنة ٧٠١ هـ/ ١٣٠٢ م) سمع من جماعة منهم كريمة بنت عبد الوهاب (توفيت سنة ٦٤١ هـ/ ١٢٤٣ م) وسالم بن صصري (توفي سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩ م) حدث في أسفاره بمصر ودمشق وحلب سمعت عليه ابنته عائشة بنت إبراهيم بن أحمد ابن القواس (توفيت سنة ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م) .
- بيت المحدث أحمد بن عبد الدائم المقدسي الحنبلي (توفي سنة ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م) سمعت منه زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصاري (توفيت سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٤ م) كان أبوها يحضرها مجالس الحديث عن محدثي دمشق و الوافدين عليها حيث أسمعها أبوها منه كتب كثيرة منها كتاب الدعاء للمحامي ومشيخته وغيرها .

- بيت بدر الدين عمر بن محمد بن أبي سعد الكرمانى (توفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) حدث بدمشق و مصر عمر طويلا وحديثه حسن وأخذت منه زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم (توفيت سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م) .
- بيت المسند المعمر أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي (توفي سنة ٦٣١ هـ/١٢٣٤م) سمع من جده ومن جماعة وروى ببغداد ودمشق وحلب وصفه الذهبي بأنه الشيخ الإمام الفقيه الكبير مسند الشام حدث من بيته جماعة كبيرة رجالا ونساء ومن النساء اللاتي أخذت عنه ببيته وحدثت عنه زينب بنت الإسعدي (توفيت سنة ٧٠٦ هـ/١٣٠٦م) وفاطمة بنت جوهر (توفيت سنة ٧١١ هـ/١٣١١م) وهديّة بنت عسكر (توفيت سنة ٧١٢ هـ/١٣١٢م) وست الوزراء (توفيت سنة ٧١٧ هـ/١٣١٧م) .
- بيت العالمّة المحدثّة زينب بنت مكّي بن علي الحرائية (توفيت سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م) كان بيتها مركزا علميا حيث ازدهم طلبة الحديث على باب منزلها في سفح جبل قاسيون بدمشق فسمعوا منها الكتب والأجزاء التي ترووها وقد روى عنها الإمام يوسف المزني (توفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م) والبرزالي (توفي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) وقد روت " المُـ سند " كله وروت شيئا كثيرا ، وازدهم عليها الطلّبة،كانت أسند مَن بقي من النِّساء أخذت عنها ابنتها عائشة بنت الجمال عبْد اللّٰه بن عبد الملك بن عثمان، أم عبد الله المقدسيّة (توفيت سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤م) .

٣. النشاط العلمي لبيوت العلماء :

١.٣ تلقين العلم :

وغلبت على هذه المراكز التدريس عن طريق تنظيم حلقة وهي اجتماع طلبة حول مُـ درس وبالتالي برنامج دراسي ودروس متتابعة وكانت هناك حلقات متعددة مثل حلقة أهل الحديث وحلقة النحويين .

وأیضا حلقات لتفسير القرآن وأصول اللغة والشعر وعلم القراءات ثم الحصول على إجازات وكان الشيخ يجلس على كرسيه أو على مكان مرتفع وسط حلقة و الطلاب يلتفون حوله فيلقي درسه شفاها أو من كتاب بين يديه وقد يكون الكتاب من تأليفه هو ، أو لغيره ويناقش الشيخ طلبته في مواضيع .

ويقف عندما تكون مسألة غير واضحة فيشرحها أو قد يعرض الشيخ مسألة من المسائل في الفقه أو الحديث أو اللغة والأدب فيشرحها ويأتي عليها بشواهد من محفوظة ، أو مما يعرفه أو يأتي به من الكتب ، وأساليب الحلقة قد تكون بالإملاء حيث يجلس في موضع مرتفع من كرسي وغيره وأحيانا بالشرح و المناقشة .

ويعتبر الإملاء من أهم الطرق التعليمية التي تقيد العلم ويعتبر من أعلى درجات الرواية لأنه يظبط الحروف والكلمات في الكتب ، والإملاء سهل حفظ المادة العلمية والرجوع إليها وقت الحاجة وهو وسيلة لحفظ العلم من الضياع والفقدان ويساعد على المذاكرة قال الإمام الزهري إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة ويستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمل له عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين .

وغلب الإملاء خاصة في حلقات الحديث والقرآن حيث يقوم الشيخ بإملاء الحديث مثلا إما من محفوظاته أو من مذكرات كتبها ليقراً منها ويملي فقرة فقرة أو حديثا حديثا مع اتصال السند ويكتب الطلبة ما يمليه وبعد الانتهاء يعقب بالشرح والتفسير وتوضيح ما هو غامض في الحديث، والطلاب يدونون هذه الشروح على هامش أوراقهم التي كتبوا فيها الخصوص وقد يعقد المعلم مجلسا خاصا بالإملاء ، وقد يملئ مباشرة بعد الإلقاء الشفوي ، وقد يملئ المعلم درسه من ذاكرته وحفظه ، وقد يملئ من كتاب بين يديه .

واتخذ هؤلاء علماء طرق لتلقي العلم من أهمها :

- السماع : وهو السماع من لفظ الشيخ وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث من غير إملاء وهو أن يقرأ الشيخ من حفظه أو من كتاب والحضور يسمعون لفظه سواء كان المجلس للإملاء أم لغيره وهذه المرتبة أرفع أنواع التحمل عند جماهير أهل العلم ورأى بعضهم أن السماع من الشيخ والكتابة عنه أرفع من السماع فقط لأن الشيخ مشغول بالتحديث والراوي بالكتابة عنه فهما أبعد عن الغفلة وأقرب إلى التحقيق .

والسماع هو طريقة الرعييل الأول من الرواة و يدخل في السماع تحديث الشيخ من وراء ستار ، وقد أجاز ذلك جمهور العلماء مستدلين بسماع الصحابة و التابعين الحديث من زوجات الرسول ﷺ وغيرهن من وراء حجاب و روايتهم ذلك عنه .

وكانت المرأة تسمع من الرجل بنفس سماع المرأة في عهد الرسول ﷺ وهي في مصلاها خلف الرجال والأولاد في المسجد أما إن كان في مكان آخر كالبيت فكانت تسمع من أهل الحديث في غرفة مجاورة أو من وراء ستار .

ومن أمثلة السماع أن ست العرب بنت محمد بن فخر علي بن أحمد بن عبد الواحد أم محمد الصالحية (توفيت سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥) تحضر على جدها الفخر المعروف بابن البخاري (توفي سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) وتسمع السنن الكبرى للبيهقي وصحيح مسلم .

ومن أهم من سمع الحديث من الشيخ ابن الخباز الدمشقي المتوفى سنة ٧٠٣هـ كما ذكرنا ببيته الشيخ الذهبي والمزي وابنه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن ريكاب ابن الخباز الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٦هـ وقد حدث مع أبيه وهو ابن ٢٠ سنة واستمر يحدث نحو ٧٠ سنة .

كما اعتنى الشيخ يوسف المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ بآل بيته كما ذكرنا فكان يحضرهم مجالس السماع وارتفعت منزلته في بلاد الشام ونال شهرة واسعة وذاع صيته فصار محط أنظار طلبة العلم

يرحلون إليه ويأخذون عنه ويسمعون عليه حيث تخرج على يده كبار الحفاظ منهم ابن سيد الناس أبو الفتح اليعمري توفي سنة ٧٣٤هـ وابن عبد الهادي الدمشقي توفي سنة ٧٤٤هـ وشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٨٤هـ وصلاح الدين الصفدي توفي سنة ٧٦٤هـ وتاج الدين السبكي وغيرهم كثير .

وسمع من الحفاظ العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ أولاده وأحفاده من بينهم أسماء بنت خليل بن كيكلي العلائي توفيت سنة ٧٩٥هـ التي أصبحت شريحة صالحة مسندة حيث سمعت على والدها وحدثت بالكثير من مسموعاتها .

كما كانت تغلب أيضا طريقة القراءة على الشيخ ويسمبها أكثر المحدثين " العرض " وبعضهم " عرض القراءة " لأن الطالب يعرض على العالم ما يقرأه كما يعرض القرآن على المقرئ و هو أن يقرأ واحد على الشيخ إما من حفظه أو من كتاب مقابل مصحح ، والشيخ يصغي له معتمدا على حفظه أو على نسخة مقابلة مصححة كأن يقول قرأت على فلان أو قرئ على فلان و أنا أسمع فأقر به أو يقول حدثنا فلان قراءة عليه ، أو أخبرنا قراءة عليه ولا تزال هذه الطريقة متبعة في كثير من حلقات العلم و هي الطريقة الغالبة في التعليم وهذه الطريقة تكون كذلك عند تعلم القرآن وحفظه .

مثال ذلك أن صفية بنت إبراهيم بن أحمد بن يحيى الزبيدي المكية أم الفضل توفيت سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) روت عن ابن كليب الحراني جزء ابن عرفة بقراءتها عليه وحدثت بمكة سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) .

وقد قرأ عن الشيخ محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن الصصري المتوفى سنة ٦٧٠هـ ، ورو عنه كل من ابنه قاضي القضاة نجم الدين وابن العطار والدمياطي وابن الخباز اعتنى بولده وأسمعه وروى الحديث من بيته جماعة .

٢.٣ . تقديم الإجازات :

كان للعلماء ببلاد الشام دورا كبيرا في خدمة العلم ونشره خاصة علم الحديث وتدريسه وكان لهم جهود عظيمة في تحمله وأدائه وتقديم الإجازة ، للطلاب في الرواية عنهم أو نشر علمهم .

ومثال الإجازة أن يقول المحدث لبعض طلابه : أجزتكم رواية كتاب البيوع من صحيح البخاري وقد سمعت من فلان وأجزتكم رواية صحيح مسلم عني ، وقد سمعته من فلان غير أن يقرأ شيئا منه أو أن يقرأ بعضه ويجيزهم الباقي ، أو يقول أجزت لك الكتاب الفلاني أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه . ولم يُجز العلماء المتقدمون الإجازة هكذا من غير قيد ولا شرط بل اشترطوا أن يعرف المحدث ما يجيز به وأن يكون المستجيز من أهل العلم حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله .

وقد تحصلت نساء كثيرات على إجازات من كبار العلماء مثال ذلك زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسية الصالحة أم عبد الله الصالحة المسندة (توفيت سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) كانت تسمع الحديث على أحمد بن عبد الدائم من الأسماء و الصفات في صحيح مسلم إلى آخر الصحيح و روت بالإجازة عن شيوخها كثيرا من الكتب والأجزاء العالية منها كتاب اختلاف الحديث لابن قتيبة وكتاب فتوح الشام للأزدي وكتاب الشمائل للترمذي . ومن أمثلة الحصول على إجازة أن الشیخة الصالحة المسندة المعمرة أم عبد الله فاطمة بنت العز إبراهيم بن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية الصالحة (توفيت سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) تحصلت على إجازة من محمد بن عبد الهادي المقدسي (المتوفى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) .

وقد كانت الصفة الغالبة على طلبة الحديث في القرون الأولى السماع من لفظ الشيخ أو القراءة عليه وقلة التحمل بطريقة الإجازة ثم أصبحت الإجازة في القرون المتأخرة خاصة القرن (٦ - ٧ - ٨هـ - ١٢ - ١٣ - ١٤م) ، السمة الغالبة وما حدث ذلك إلا بعد تدوين الأحاديث في المصنفات وأصبح

المراد من الرواية إبقاء سلسلة الإسناد متصلة برسول الله ﷺ وكان بعض المحدثين يستجيز لنفسه ولأولاده .

وقد جرت العادة إذا تحقق من استيعاب الطالب للعلم كُتِبَ له شهادة على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتاب الذي قام بدراسته معه تفيد بأنه قرأ الكتاب على أستاذه وأنه أتقن ما فيه وتلك الشهادة تُعد دليلاً على أن الطالب قد استوعب الموضوع الذي يدور حوله ذلك الكتاب وأنه مجاز بتدريسه وروايته للآخرين وتُسمى تلك الشهادة إجازة وهي دليل أن حاملها قد بلغ مستوى علمياً مقبولاً، وقد كثرت الإجازات في القرنين (٧-٨ هـ / ١٣-١٤ م) .

وكثرت الاستدعاءات للإجازة وهي كراسة تحتوي على طلب يلتمس فيه الراغب في الرواية الإجازة له ولغيره إذا أراد من عالم معين ومجموعة من علماء عصره على أن يأتي عقب هذا الطلب نصوص العلماء وتوقيعاتهم بالإجازة وهو نص استدعاء جماعي يرفع إلى مجموعة من العلماء طلباً في الإجازة فيكتب كل واحد منهم إجازة منفردة تستفيد منها الأسماء المسجلة في الاستدعاء وتجمع هذه الإجازات إلى بعضها يتصدرها نص الاستدعاء فتكون فهرسة ويطلق على استدعاء مصطلح الإستجازة فسمي استدعاء الإجازة وقد بدأت نصوص الإجازات من طرف الشيوخ منذ القرن (٦ هـ / ١٢ م)، تستقر وكثرت في القرنين (٧-٨ هـ / ١٣-١٤ م) .

ومن أمثلة الاجازات التي تحصل عليها من علماء هذه البيوت العلمية منهم الذهبي الذي أجاز لابنته أمة العزيز ولحفيدة عبد القادر حيث أجاز له رواية كتابه تاريخ الإسلام أما ابن البخاري فيقول الحافظ المنذري لنا منه اجازة .

وهناك أمثلة كثيرة عن حصول الكثير من طلبة العلم على اجازات من كبار العلماء الذين نشطوا ببيوتهم لتلقيهم العلم لا يسع المقام لذكرهم فاقتصر على بعض الأمثلة .

الحمد لله رب العالمين
قـــرأت جميع هذا الكتاب ريانا المصلحين للشيخ الإمام العلامة
مردودهم ووجيد عظمه أبي زكريا يحيى النوري رحمه الله برحمته على الشيخ
الإمام العالم العامل الناصب شيخ الهدى في المسالك علا الدين
أبي الحسن علي بن الشيخ موفق الدين إبراهيم بن جمال الدين داود
ابن العطار الشافعي بسماعه من مولفه رحمه الله وأصل تلمذه بيده
يعارض به وقت القراءه فسمعه بكامله الفقيه الجليل الإمام العالم
شرف الدين خطاب بن سليمان بن مهليل الأديب الشافعي ربيع امر
أوله إلى باب الصبر ومن آخره من باب بيان ما أعده الله تعالى للذين
في الجنة إلى آخر الكتاب الشيخ مرقم العالم البارع الناصب الفاضل
شهاب الدين أحمد بن السمع متخلص السافعي ود الله عالمه عظمه
آخرها يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وسبعين
مدار الحديث النورية برمسق الهوسه وأجاز الشيخ مع الله تعالى
لصاحب الفتاوى رواية بقبته بالإجازة وأجاز له أيضا ولم يسمعه بكامله
ما يجوز له روايته بشرطه اهله وكتب أحمد بن الحسن بن أبي القاسم
صلى الله عليه وسلم وأجاز له المذكر ابن وكار
قراه ضبطاً وانقاز حسنة لأبيه
محمد بن أبي القاسم وعما الله عما حكى ومعه

يتبين لنا مما سبق أن معظم الرجال والنساء أخذوا العلم من بيوت العلماء خاصة النساء فكان حظهن أكثر من غيرهن في تلقي العلم وكن يستفدن من الدروس التي تُعقد في بيوتهن مع آبائهن أو أجدادهن أو أخوانهن ، كما حرص الآباء والأجداد على تعليم بناتهم وكانوا يأخذونهن معهم عند حضور مجالس العلم في بيوت العلماء تارة و في الجوامع تارة أخرى .

وقد نشطت تلك البيوت العلمية ببلاد الشام واشتهرت بعلم الحديث والتفسير والفقه لذا أقبل الطلاب على المجالس الحديثية والتف حولهم الرجال و النساء و ذلك لسعة علمهم وعلو سندهم إلى جانب مجالس قراءة الكتب والمصنفات على الطلاب وشرحها وسماعها منهم ، مثل كتب الحديث والفقه والعقيدة والتاريخ والسير وغيرها . ومن مظاهر نشاطهم أيضا إلى جانب التدريس . إجازة الطلاب في الرواية عنهم أو نشر علمهم وهي شهادة تدل على أن حاملها بلغ مستوى يؤهله لتبليغ العلم و نشره وقد تحصل كبار العلماء على إجازات من بيوت العلماء الشامية مثل صلاح الدين الصفدي والذهبي والمزي وابن حجر وكريمة بنت عبد الوهاب وابن كثير والسخاوي وغيرهم .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ١ - ابن كثير اسماعيل : البداية والنهاية ، دمشق ١٩٨٦ ، ج٧ .
- ٢ - ابن كثير اسماعيل : البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ج١٤ .
- ٣ - البغدادي أبو بكر : الكفاية في علم الرواية ، ت أبو عبد الله السورقي إبراهيم حمدي المدني ، ج ١ .
- ٤ - بن عزوز محمد : بيوتات الحديث بدمشق ، دمشق دار الفكر ، ٢٠٠٤ م ، ط١ .
- ٥ - الحنبلي ابن العماد : شذرات الذهب في اخبار من ذهب بيروت دار الكتب العلمية ، ج٧ و ج٨ ..
- ٦ - الخطيب البغدادي أبو بكر : الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع ، ت محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة ، ج١ .
- ٧ - الذهبي شمس الدين : معجم الشيوخ الكبير ، ت روية عبد الرحمن السيوفي لبنان ، دار الكتب العلمية ، ج١ .
- ٨ - الذهبي شمس الدين : سير إعلام النبلاء دار الحديث القاهرة ٢٠٠٦ م ، ج٢١ .
- ٩ - الذهبي شمس الدين : تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ، ت بشار عواد معروف ، ط١ دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٣ م ج١٣ .
- ١٠ - السخاوي شمس الدين : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ج١٢ .
- ١١ - الإسلامي أبو المعالي : الوفيات ، ت عادل نويهض ، ط٢ ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، ١٩٧٨ م ، ج٢ .

- ١٢- السمعاني عبد الكريم : أدب الإملاء والإستملاء المروزي ، ت ماكس فايسفايلر
بيروت دار الكتب العلمية ، ١٩٨١ .
- ١٣ - السيوطي جلال الدين : تدريب الراوي في شرح تقريب النوي بيروت ، دار
الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٦، ج٢ .
- ١٤- الصفدي : الوافي في الوفيات ،ت أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى بيروت ،
دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠ م ، ج١ .
- ١٥- العسقلاني ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد
الهند مطبعة مجلس الإدارة المعارف العثمانية ، ج٤ .
- ١٦- القاضي عياض : ترتيب المدارك و تقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب
مالك ت هاشم محمد سالم بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م .
- ١٧- المكي أبو الطيب : ذيل التقييد ، ت كمال يوسف الحوت، ط١ بيروت دار
الكتب العلمية ، ، ج٢ ، ١٤١٠ هـ .
- ١٨- المكي تقي الدين : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ت محمد حامد
الفقهي ، مؤسسة الرسالة ، ج٢ .

ثانيا : المراجع :

- ١ - بن عزوز محمد (٢٠٠٤) : بيوتات الحديث بدمشق ، ط ١ دمشق دار الفكر .
- ٢ - سعد الدين محمد منير (١٩٩٥) : المدرسة الإسلامية في العصور الإسلامية،
ط١ ، بيروت دار النموذجية .
- ٣ - عجاج الخطيب محمد (١٩٨٩) : الوجيز في علوم الحديث ونصوصه ،
الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
- ٤ - المقدسي جورج (١٩٩٤) : معاهد العلم عند المسلمين و الغرب ، ترجمة
محمود سيد محمود ، ط١ .

- ٥ - البيروتي مازن (٢٠٠٧) : تاريخ المحدثين ط١. بيروت دار البشائر الإسلامية .
- ٦ - المريس عبد الرحمن مريس (٢٠٠١) : المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ٦٤٨هـ-٩٩٣هـ ، ط١ ، الرياض .
- ٧ - معتوق صالح يوسف (١٩٩٧) : جهود المرأة في رواية الحديث في القرن ٨ هجري، ط١، بيروت ،دار البشائر الإسلامية ،.
٨. محمد زغلول سلام (١٩٦٨) : الأدب في العصر الأيوبي، مصر دار المعارف.